سورة الأنبياء و

من دروس حملة الحج

أ. أناهيد بنت عيد

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزّ وجلّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

واللّه الموفّق لما يحبّ ويرضى.

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مُباركًا ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعلنا ممّن جلس مجلسًا فجلست معه الملائكة، وذكره الله -عزّ وجلّ- فيمن عنده، اللهمّ آمين.

بسم الله توكّلنا على الله، نحن كنّا بدأنا في الكلام عن سورة الحجّ وربّنا وفّقنا وقرأنا مطلعها وخاتمتها ومطلع سورة المؤمنون وخاتمتها، فالآن كذلك نضيف إضافة ونأتي بسورة الأنبياء، السّورة الّتي قبل سورة الحجّ.

سورة الأنبياء وعلاقتها بمسألة التّقوى الّتي في مطلع سورة الحجّ

مقارنة بين مطلع سورة الأنبياء ومطلع سورة الحجّ:

سورة الحجّ ابتدأت بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[1].

سورة الأنبياء قبلها ابتدأت بقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾.

---

[1] () الحج: ١.

مطلع سورة الأنبياء جوابه في مطلع سورة الحجّ فإذَا (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ) المفترض أن (اتَّقُوا رَبَّكُمْ):

تخيّلي وأنت تقرئين وردك بالتّرتيب، ستقرئين في سورة الأنبياء أنّه: (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ) والنّاس ما صفتهم؟ (فِي غَفْلَةٍ) وكذلك (مُّعْرِضُونَ) وكذلك (لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ).

فإذًا بأبدانهم: (مُّعْرِضُونَ) وبقلوبهم: (لَاهِيَةً).

إذَا اقترب الحساب ماذا نفعل من أجل أن نتصرّف مع الحساب كما ينبغي؟ الجواب في مطلع سورة الحجّ: (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ) المفروض أنّهم ماذا يفعلون؟ (اتَّقُوا رَبَّكُمْ).

حال النّاس مع التّقوى جوابه في مطلع سورة الأنبياء (فِي غَفْلَةٍ) بأبدانهم (مُّعْرِضُونَ) وقلوبهم (لَاهِيَةً):

والنّاس بالنّسبة **للتّقوى** ما حالهم؟ غافلون (فِي غَفْلَةٍ) أبدانهم مُعرضة (مُّعْرِضُونَ) وقلوبهم (لَاهِيَةً).

هذه الصّفة من أين أتيت بها؟ من سورة الأنبياء.

مقارنة بين خاتمة سورة الأنبياء ومطلع سورة الحجّ:

انظري إلى آخر سورة الأنبياء من الآية (١٠١) إلى الآية (١٠٤):

يقول الله -عزّ وجلّ-: (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ، وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ) ماذا يُقال لهم؟ (هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣)) ثمّ بعد ذلك يأتي خبر عن هذا اليوم: (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤)) فإذًا كلّ هذا خبر عن يوم القيامة.

ثمّ تأتي سورة الحجّ ماذا تقول؟ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ).

خاتمة سورة الأنبياء تبيّن حال جماعة يوم زلزلت السّاعة (لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ، وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ):

فإذًا معنى ذلك: أنّ الّذي سيلاقي ربّنا ماذا سيكون حاله إذا اتّقى ربّنا؟ (لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ) وكذلك (وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ) (هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) فإذًا زلزلة السّاعة الّتي هي الشّيء العظيم هناك جماعة: (لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ) وهناك جماعة: (تَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ).

مطلع سورة الحجّ (اتَّقُوا رَبَّكُمْ) يبيّن سبب فوز الجماعة الّذين أتى خبرهم في خاتمة سورة الأنبياء أنّهم اتّقوا ربّهم في الدّنيا:

هؤلاء الجماعة ماذا فعلوا كما في سورة الحجّ؟ اتّقوا ربّهم ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ هذه الكلمة الّتي هي كلمة السّرّ: **اتّقوا ربّهم.**

فإذًا كلّ تركيزنا في اجتماعنا الآن سيكون على مسألة **التّقوى**، وقد فهمنا بأنّه من أوّل سورة الأنبياء والموضوع دائر حول أنّه: وراؤك يوم عظيم لا تكن في غفلة عنه وهذا اليوم يكون فيه مجموعة ناجين: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ، وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ ماذا فعلوا في الدّنيا؟ اتّقوا ربّهم.

سورة الملك وعلاقتها بمسألة المجادلين الّذين أتى ذكرهم في سورة الحجّ

ما هي علاقة مطلع سورة الملك بمسألة المجادلين الّذين أتى ذكرهم في سورة الحجّ؟

الآية (1) تبيّن أنّ المجادل في الله يبدأ الجدال من عند وجود الله إلى استحقاقه للمحبّة:

ولذَلك لـمّا سمعنا في سورة الحجّ أنّه هناك جماعة مجادلين تُبَّعٌ، وجماعة مجادلين رأس، وجماعة يعبدون الله على حرف، أكيد أنّ الّذين اتّقوا ربّهم ليسوا واحدًا من هؤلاء الثّلاثة، إنّما الّذين اتّقوا ربّهم هم:

(الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)[2] وهذان العاملان هما العاملان الأساسيّان **للتّقوى**.

لكن دعونا نبدأ من نقطة البداية حتّى نأتي **بالتّقوى**: نفهم نحن ما هي حالتنا في الدّنيا؟ ولماذا نحن موجودون هنا؟ وهذه الجملة الكريمة من الآيات الّتي قالها الله -عزّ وجلّ- من الآيات: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ)[3] ماذا يعني (يُجَادِلُ فِي اللَّهِ)؟ ماذا يقول؟

سنتذكّر أوّل سورة الملك: (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[4] فإذًا فكّري كيف يجادل في الله؟ يعني: يجادل في عظمته وجلاله وأنّه: (بِيَدِهِ الْمُلْكُ) وأنّه: (عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يعني: يبدأ الأمر من عند أنّه يجادل في وجوده إلى أن يجادل في استحقاقه -سبحانه وتعالى- أن يُطلب، وأن يُرجى، وأن يُسأل، وأن يُحبّ، وأن يُعظّم، فإذًا المجادلة من عند وجود الله إلى استحقاقه للمحبّة؛ فإذًا هذه الآية الأولى للملك.

الآية (2) تبيّن أنّ المجادل في الله يجادل في وظيفتنا مع الله:

---

[2] () الحج: ١٤.
[3] () الحج: ٣.
[4] () الملك: ١.

انظري الآية (٢): ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ يعني: ﴿يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ بمعنى: يجادل في وظيفتنا مع الله.

إذًا في سورة الحجّ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ تفهمينها بأوّل سورة الملك (تبارك): ﴿يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ يعني: يجادل في أمرين:

1. **يجادل في وجوده -سبحانه وتعالى-:** وفي وصفه بالكمال، ويجادل في استحقاقه -سبحانه وتعالى- للمحبّة والتّعظيم، يعني في النّهاية: للعبادة.

2. **ومن ثمّ فإنّه يجادل في وظيفة الإنسان في الدّنيا.**

أنت الآن في الدّنيا داخل في اختبار: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

فإذًا الجدال وقع في شأنين: في الله، وفي استحقاقه من العباد أن يُعظّموه -سبحانه وتعالى-.

الحجّ كنز للتّقوى تغرفين منه قبل أن تخرجي

الحجّ يكفي مرّة واحدة في العمر لأجل غرفة قويّة من التّقوى تملأ القلب وتسبّب له الشّفاء بأمر الله:

مَن الّذي سيخرج من هذه المشكلة؟ سيخرج من هذه المشكلة الّذي اتّقى، ولهذا لابدّ أن نتّفق: نحن في هذه الحياة ما هو وضعنا؟

لكي تفهمي **التّقوى** سنجمع من نصوص هي بعيدة عن بعضها لكن -إن شاء الله تظهر- وفي نفس الوقت لا أدّعي أنّه في هذه الجلسة أستطيع أن أجمع هذا المعنى العظيم لكن دعونا فقط نأخذ طرفًا منه، ولأنّه هو المطلوب منك أن تخرجي به من الحجّ وأنت مُتزوّدة به.

وقد كنّا اتّفقنا في الجلسة السّابقة بأنّ **"الحجّ كنز للتّقوى تغرفين منه قبل أن تخرجي"** فأنت آتية لأجل أن تغرفي وتعودي به، ولذلك الحجّ يكفي مرّة واحدة في العمر لأجل غرفة قويّة تملأ القلب وتسبّب له الشّفاء -بأمر الله-.

مُعِينَات التَّقوى ومُعيقاتها

من مُعِينَات التَّقوى: أن تسمع صوت الـمَلَكِ والحقّ في قلبك فما أثره عليه؟

الآن دعونا نسمع حديث النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- الّذي فيه: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا» ماذا تعني هذه الجملة من كلام الرّسول صلّى الله عليه وسلّم؟

«الْحَصِيرِ» هو: المحصور، يعني: المقصود به: المسجون، فالعرب فيما مضى لم تكن تبني سجونًا وإنّما كانت تحفر حفرة وتضع فيها الرّجل المسجون، وبما أنّ الحفرة كانت أعلى منه بمعنى: أنّه لو وقف فيها تصير الحفرة أعلى منه، ثمّ توضع على أطراف الحفرة أعوادًا لكيلًا يقدر على التّسلّق والخروج؛ فالآن قلبك تُعرض عليه الفتن عودًا، عودًا، والنّتيجة: إمّا أن يصبح محبوسًا قاسيًا وإمّا أن ينجو ويخرج.

فإذًا «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ» وسنفهم هذه -إن شاء الله- «وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا ، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا ، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا»[5].

سماع صوت المَلَكِ والحقّ يجعل القلب يصير أبيضًا مثل الصّفا لا تضرّه فتنة ما دامت السّموات والأرض:

الآن هذا الحديث ضعيه أمام عينيك ودعونا نرى واقعيًّا ماذا يحصل بالأمثلة:

أنت الآن قلبك جالس وتأتي الفتن تُعرض عليه، وهناك حالتان لهذا القلب: إمّا أن يُنكرها وإمّا أن يتشرّبها ويقبلها،

([5]) أخرجه مسلم (239).

ودعونا نقول بأنّ الّتي يُنكرها على اليمين والّتي يتشرّبها ويقبلها على اليسار:

تصوّري وأنت ماشية في طريقك في الحياة ثمّ تعترض طريقك فتنة، مثلا: نقص رزق، فهذا القلب الآن أتاه الاختبار في الأقدار وهي أعظم اختبار، ثمّ بعد ذلك في الكتاب العظيم فيه جواب لكلّ اختبار خاصّة حين تقرئين سورة البقرة والأعراف وطه تسمعين بعد قصّة آدم وبعد إنزاله في الأرض: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[6] يعني: أنت في اختبار وقد نزلت في الأرض: هناك اختبار، وهناك منهج تدرسه لأجل أن تنجح في الاختبار ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾.

فالآن أنت جالس في مكانك وجاءك اختبار في الرّزق، هناك واحد من ردّين لهذا الاختبار: فإمّا أن تردّ على اليمين وإمّا أن تجيب على الشّمال، دعونا نرى من أين تأتي بالرّدّ الّذي على اليمين؟ ومن أين تأتي بالرّدّ الّذي على الشّمال؟

سنأتي بحديث آخر أيضًا، فقد ورد في الحديث: «إِنَّ لِلْمَلِكِ لَمَّةً ، وَإِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً»[7] يعني: بالقلب يلمّه، بمعنى: أنّ فكرة تسيطر على القلب «إِنَّ لِلْمَلِكِ لَمَّةً، وَإِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً» الملك سَيَعِدُك بالخير والشّيطان سَيَعِدُك بالشّرّ.

---

[6] () طه: ١٢٣.

[7] () صححه أحمد شاكر.

دعونا نأتي بمثال أسهل من اختبار الرّزق، لأنّ هذه المسألة لا تذهب عليك أيّ دقيقة أو ساعة إلّا وتمرّ عليك هذه المسألة:

مثلا: وضعت ساعة المنبّه لكي تقومي لصلاة الفجر، أوّل ما تفتحين عينك مباشرة في القلب هناك صوتين: صوت يقول لك: (قومي!)، والثّاني يقول لك: (خذي غفوة!) حتّى الجوّال مسكين يقول لك: (خذي غفوة!) يعينك على أن تأخذي غفوة! وأنتم تعرفون أين تأخذنا هذه الغفوة! فلا تفيقي إلّا والشّمس قد طلعت! لكي تتصوّري أين اختبار **التّقوى**؟

الآن هذه المشاعر في كلّ اختبار ستأتيك! فتسمعين صوتًا على اليمين يقول لك: (قومي!) وصوتًا على الشّمال يقول لك: (خذي كذلك غفوة!) وعلى حسب استجابتك، النّكتة الّتي ستصير في القلب، فإذا استجبت للملك وقمت فهذه نكتة بيضاء، وإذَا للشمال صارت سوداء، فإذَا لم تستغفري ستبقى! ثمّ تأتي الّتي بعدها! فالّتي بعدها! فالّتي بعدها!

دعونا نترك السّوداء ونفكّر في البيضاء، فهذه البيضاء تكون قد حصلت لك اليوم، وغدًا كذلك، وبعده أيضًا يحصل لك، ويتكرّر حصولها إلى أن تنجحي -الحمد لله- وتنجحين كلّ يوم وتقومين، ويتكرّر نجاحك كلّ يوم وتقومين، إلى أن تتجاوزي هذا الاختبار، اختبار صلاة الفجر!

وأنتنّ أكيد تعرفن نساء كبيرات في السنّ لا يحتجن لقيام اللّيل لا إلى ساعة ولا منبّها ولا غيرهم كأنّها هي السّاعة، لماذا؟ اتركي عنك العادة وإنّما كما في الحديث لتري كيف تكون العطيّة: «نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ» يعني: أنّها قد نجحت في اختبار الفجر وتجاوزته فيصير القلب أبيض ولا تضرّه فتنة مرّة ثانية، ثمّ بعد ذلك الاختبار الثّاني، ثمّ الاختبار الثّالث، الرّابع، الخامس، العاشر.

من مُعِيقَات التَّقوى: أن تسمع للشّيطان والهوى الّذي يأتي صوته في قلبك فما أثره عليه؟

سماع صوت الشّيطان والهوى يجعل القلب يصير مثل الكوب مائلًا مهما نزل فيه حق فإنّه يُطرد:

في المقابل الأسود: نامت عن الفجر أوّل يوم ولم تشعر بألم! وليس هناك توبة! ثمّ تجد الأعذار: (لأنّني لم أنم باكرًا! لأنّني...! لأنّني...!)!! ومن الغد مثله! وبعده مثله! وبعده مثله! فلا يبقى في القلب! أسود على أسود! على أسود! على أسود! لا استغفار! ولا توبة! ولا لحظة فاصلة! ولا أيّ شيء!

طبعا نحن لا نتكلّم عن يوم أو يومين أو ثلاثة أو أربعة! وإنّما لابدّ أن تعرفن بأنّ ربّنا حليم -سبحانه وتعالى- في معاملة خلقه، فنحن نتكلّم على المدى الطّويل في كلا الاثنين.

المهمّ فإنّه يصبح «أَسْوَدُ مُرْبَادًّا» بمعنى: أنّه مثل الرّمادي «كَالْكُوزِ» يعني: مثل الكوب «مُجَخِّيًا» يعني: مائل بحيث أنّه مهما صُبّ فيه حقّ ومهما قلت له: (الآية تقول.. ، النّصّ يقول..) فلأنّه مائل فإنّه ينصبّ وينكبّ «كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا» فلا يبقى فيه شيء «كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا» يعني: مثل الكوب مائل مهما نزل فيه حقّ فإنّه يُطرد.

فإذًا نحن في كلّ هذه القصّة الآن: أين **التّقوى**؟ **التّقوى** هو أن تسمع صوت الحقّ.

فأنت الآن جاءك الاختبار، وحين يأتي الاختبار لابدّ أن تعرف بأنّه لتتّقي سخط الله اسمع للّذي أعانك الله به! فأنت عندك فطرة سويّة تعرف الحقّ، كذلك هنالك مَلَكٌ ينادي على هذه الفطرة السّويّة، فجاءت معينات! **فالتّقوى** أن تتّقي أن تسمع للشّيطان والهوى الّذي يأتي صوته في قلبك، وتسمع للمَلَكِ وللحقّ.

من مُعِينَات التَّقوى: كنز الفطرة السّويّة الّتي تميّز القبيح من الحسن:

للفطرة السّويّة مُسَلَّمٌ يقول أنّ كلّ فعل لابدّ له من فاعل:

ولابدّ أن تعرفوا أنّ الله لـمّا اختبرنا لم يدعنا في الدّنيا هَمَلًا أبدًا، يعني: نحن أتينا إلى الدّنيا ومعنا هذا الشّيء العزيز، العزيز، العزيز، مهما قلت فهو عزيز: الفطرة السّويّة!

الفطرة السّويّة الّتي تميّز القبيح من الحسن، وانظري إلى النّاس كلّهم بدون استثناء يحبّون العدل ويكرهون الظّلم، كلّ النّاس، والنّاس كلّهم فيهم مسلّمات مُتّفق عليها:

سأضرب مثالًا بالصّغير لتتخيّلوا كيف أنّه كلّ النّاس، الآن الطّفل، افترضي بأنّ عمره ٣ سنوات، أتيت من ورائه أنت وأخته الصّغيرة وضربته، قال: (من ضربني؟) قلت له: (لم يضربك أحد)! هل يصدّقك؟ لا! لماذا؟ لأنّ لديه مسلّم بأنّه: كلّ فعل لابدّ له من فاعل.

للفطرة السّويّة مُسَلَّمٌ يقول إنّ صفة الفعل تدلّ على صفة الفاعل:

طيّب، أنت الّتي ضربته ثمّ تقولين له بأنّ أخته الصّغيرة هي الّتي ضربته، لن يُصدّقك! لماذا؟ لأنّه أحسّ بأنّ اليد كبيرة: فصفة الفعل تدلّ على صفة الفاعل.

هذا لا يحتاج إلى أن يعلّمه أحد إيّاه، فهو قد جاء ومعه هذا الكنز: **"كنز الفطرة"** طبعًا تفاصيل كثيرة ليس هناك مجال لمناقشتها.

من مُعِينَات التَّقوى: معرفة أفعال الله سواء في الكون أو في نفسك والتّفكّر فيها من خلال الفطرة السّويّة:

للفطرة السّويّة مُسَلَّمٌ يقول إنّ كلّ شيء هنا موجود لابدّ أن يكون له صاحب:

فالّذي يجادل في الله نسي أنّه: ها هي **"أفعال الله"**، ها هي الأفعال موجودة!

انظروا! دعونا نفكّر في أصحاب الكهف الآن:

(إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)[8] لابدّ أن تفهموا هؤلاء كيف فكّروا؟

هؤلاء عند قوم لم يكونوا يعبدون ربّ العالمين، ثمّ بعد ذلك صاروا يفكّرون: أنّ كلّ شيء هنا موجود لابدّ أن يكون له صاحب! كيف تكون هناك دار معمورة والعامر غير موجود؟! أليس لكلّ دار معمورة ربّ لابدّ أن يكون؟! فالسّؤال إذًا: أين ربّ الدّار؟! أين ربّ الدّار الدّنيا؟!

للفطرة السّويّة مُسَلَّمٌ يقول إنّه إذَا كنت ترى لصاحب الدّار أفعالًا فإذًا لابدّ أن يكون موجودًا:

هل ترى له أفعالًا؟! أم لا ترى له أفعالًا؟! نعم، ترى له أفعالًا! فإذَا كنت ترى أنّ له أفعالًا فإذًا لابدّ أن يكون موجودًا.

---

[8]() الكهف: ١٤.

من مُعِيقَات التَّقوى: أنّ اتّباع الهوى يجعل النّاس لا يستطيعون أن يعرفوا بفطرتهم المستحسن من المستقبح!

المادّة الأساسيّة للاختبار من مسلّمات ومستحسنات ومستقبحات جئت للدّنيا وهي معك ولو خلا النّاس من الهوى لاستطاعوا أن يعرفوا المستحسن من المستقبح:

طيّب، انظر لأفعاله: هل أنت تستطيع بأن تأتي بمثل الجبال في رسوخها؟! أنت لا تستطيع أن تتسلّقها لتقدر أن تأتي بمثلها!

وتصوّري: تقرئين سورة مثل سورة الملك الآية (١٩) والله -عزّ وجلّ- يكلّمك عن الطّير: (صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ) ما هو تفسيره؟ (مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ) فمعناها: أنّك لـمّا جئت إلى هنا فإنّه غير صحيح بأنّ الاختبار ليست معك مادّته! وإنّما عندك مادّته: عندك فطرة سويّة فيها مسلّمات، وفيها مستحسنات، وفيها مستقبحات، تستطيعين أن تعرفي بأنّ هذا مستقبح، وأنّ هذا مستحسن لو خلا النّاس من الهوى! فإنّه لو خلا النّاس من الهوى سيستطيعون أن يعرفوا المستحسن من المستقبح!

الّذي يجادل في الله وفي وظيفة الخلق لا يدري بأنّه يُخالف فطرته!

ودعونا نضرب مثالًا بسيطًا: هل هناك اثنان عاقلان يختلفان على أنّ برّ الوالدين مستحسن؟! لا!

هل هناك اثنان عاقلان يختلفان على أنّ شرب الخمر وإذهاب العقل مستقبح؟! لا!

ونحن نتكلّم هنا عن: اثنين عاقلين بدون هوى، فإذًا هذا باقٍ على المستحسن الفطري، وإذًا هذا معناه: أنّك جئت للدّنيا وأنت عندك المادّة الأساسيّة من المسلّمات والمستحسنات والمستقبحات، فالّذي يأتي يجادلك في الله وفي وظيفة الخلق لا يدري بأنّه يُخالف فطرته! ولذلك الله -عزّ وجلّ- يقول عن فرعون: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ)[9] تعالوا نرى كيف (جَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ)؟

المُسلّم الفطري يقول بأنّ مَن أنعم حقّه الشّكر، وأنّ الّذي لم يشكر مَن أنعم عليه فقد كفر لكنّ فرعون اتّبع هواه واستخدم القاعدة الفطرية الطّبيعيّة في صالح نفسه فقط!

افتحوا سورة الشعراء الآيات (١٨) و (١٩) لننظر كيف أنّ فرعون اعترف على نفسه:

(قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ).

---

[9]() النمل: ١٤.

اقرؤوا الآية وأخبروني مَن الّذي يتكلّم الآن؟ فرعون، يقول لمن؟ يقول لموسى.

هو الآن يتكلّم عن مسلّم فطريّ، ماذا يقول؟ (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) يعني: هو يعرف بأنّه حين يُربّي ويُنعم لابدّ أن يكون هناك الشّكر! فهو يعرف هذا لنفسه فقط! يعني: يقول لموسى: (أنا الّذي ربّيتك ثمّ تكفر بي؟!) يعني: تكفر بنعمائي وتقتل وتفعل، فهو الآن مازال لديه هذا الـمُسلّم الفطري لكن استخدمها في صالح نفسه فقط!

فإذًا ركّب نفس هذا الكلام مع ربّ العالمين، وهذا الكلام يُقال لفرعون: الله، أليس هو ربّ العالمين الّذي ربّى جميع الخلق بنعمائه؟ فإذًا كيف تكون من الكافرين بربّ العالمين؟ ولو أحد كفر خدمة قدّمتها له، فإنّك تبيت اللّيلة كاملة وأنت تقول: (النّاس ما فيهم خير! النّاس ما فيهم خير!) مثل فرعون هل تلاحظون؟!

ما هي القاعدة؟ القاعدة الفطرية الطّبيعيّة: هي أن تشكر من أسدى إليك معروفًا، ولهذا فإنّ الله يقول: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ) فأنفسهم مُستيقنة أنّ من أنعم حقّه الشّكر، وأنّ الّذي لم يشكر مَن أنعم عليه فقد كفر!

ولذلك ماذا يقول موسى في الآية (20)؟ لكي تعرفوا الرّدّ على فرعون: (قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) هذا أهمّ شيء، يعني: أصلًا الّذي فعلته خطأ، لكنّه مع ذلك، انظروا الآية (٢٢) فيها الجواب: (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ) يعني: (أنت تقول لي الآن المفترض أن أشكر نعماءك وأنا أصلًا ما وصلت لدارك إلّا بعد أن عبّدت بني إسرائيل وفعلت بهم.. وفعلت بهم..) يعني: كأنّه يقول: (أنا لديّ عذر في أن أفعل هذا بك أو بأهلك).

لكن الآن الّذي يهمّنا ليس هذا وإنّما الّذي يهمّنا أنّ كلّ النّاس حتّى فرعون في فطرته الباقية عنده قاعدة، عنده مُسلّم أنّ من أحسن فالواجب له الشّكر.

نفس المُسلّم الفطري الّذي يقول بأنّ من أنعم حقّه الشّكر استعان به الفتية أصحاب الكهف فقاموا وفكّروا في الأحداث حولهم وتوصّلوا إلى توحيد ربّهم وعبادته:

الآن سنرجع مرّة ثانية للفتية أصحاب الكهف: وفكّري فيهم الآن: هم قاموا وفكّروا: (رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) يعني: الّذي مَنَّ علينا هو الّذي أنزل المطر من السّماء؛ لأنّ كلّ شيء يمشي في نفس الطّريق: سماء تُمطر، أرض تُنبت، أنت تشرب وتأكل، وحتّى الحيوانات الّتي تأكل فإنّك تأكل لحمها وتشرب من ضرعها، فهي كلّها سُخّرت لك.

فأكيد أن الّذي هو مُنعم بالسّماء وبالمطر هو نفسه الـمُنعم بالأرض والنّبات، وهذا كلّه في صالحي، فقالوا: (رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) فتأتي النّتيجة الآن: (لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا) يعني: ما عندنا إله دونك.

الّذي يجادل في الله وفي وظيفة الخلق لم يتّقِ أبدًا بفكره فهو مشتّت ولو هُدي وترك ما يُشتّته سيصل إلى أنّ قلبه لابدّ أن يعترف بأنّ هذا مُسلّم وأنّ هذه الأفعال العظيمة لها ربّ عظيم:

فالآن لابدّ أن تفرّقي بين أمرين: بين ربّ وإله:

- **فالرّبّ:** هو صاحب الدّار الدّنيا الآن وما فيها من سماء وأرض وكلّ شيء بالتّفصيل فهو صاحبها.
- **والإله:** هو الّذي يحبه أهل الأرض ويعظّمونه، هو الّذي يؤلّهونه.

فالرّبوبيّة من الله إلى خلقه، والألوهيّة هي ماذا؟ أنت تفعلها.

فالّذي يجادل في الله لم يتّقِ أبدًا بفكره فهو مشتّت! ولو هُدي وترك ما يُشتّته سيصل إلى أنّ قلبه لابدّ أن يعترف بأنّ هذا مُسلّم، وأنّ هذه الأفعال لم يقل أحد بأنّه هو فاعلها! فلابدّ لها من فاعل! فلا السّماء ولا الأرض في أيّ دار أو في أيّ زمان قال أحدهم بأنّه هو فاعلها!

وأنت تصوّري: هذه الأفعال كلّها الّتي أمامك ألا تدلّ على فاعلها من جهة أنّها أشياء عظيمة سيكون فاعلها عظيم. وممكن تمرّ في خاطري أمنية ثمّ تأتيني! فهذا معناه: أنّ الّذي أعطاني ما وصفه؟ سميع للسّرّ ومجيب وقادر!

وهكذا فكّري وفكّري في الأحداث الّتي تجري، فإذًا أين تتصوّرين مكان فاعل هذه الأشياء؟ في السّفول أم في العلوّ؟ في العلوّ طبعًا لأنّ الفطرة ماذا تقول؟ أنّ مكان العظماء في العلو!

فإذًا هكذا وصلنا بأنّه لن يجادلنا أحد في الله ولا في عظمته، فكلّ شيء من المخلوقات أو من الأحداث الّتي تدور حولنا لو صفّينا عقلنا ستشهد بكماله.

من مُعِينَات التَّقوى: معرفة العبد لوظيفة الإنسان في هذه الدّنيا:

أوّل الوظيفة أن تعرف كمال الله وجلاله وعظمته من خلال معرفة أسمائه وصفاته وأفعاله سواء من الكون أو من كتاب الله:

بقي الآن الوظيفة فنحن الآن قد عرفنا بأنّ ربّنا كامل الصّفات والشّواهد كثيرة على ذلك، بقي الآن الوظيفة الّتي لابدّ أن أقوم بها؟

انظري: فإنّ هذه الوظيفة، **"وظيفة العبد"** لابدّ أن تبدأ من القلب وتنتهي بالقلب، وأوّل الوظيفة أن تعرف كماله وجلاله وعظمته من طريقين:

1. **من الطّريق الّذي تراه من أفعاله سواء في الكون أو في نفسك.**
2. **والطّريق الثّاني: بأن تقرأ في كتابه، اعرف أسماءه وصفاته.**

إذًا هذه الخطوة الأولى: **"التّأليه"** هذه الكلمة الّتي نريدها أن تكون مفتاحا للجنّة الّتي هي: لا إله إلّا الله، ما معناها؟

دعونا نبدأ بكلمة: **"إله"** ما معناها؟ أنت تقولين: (أنا ليس عندي محبوب معظّم إلّا الله).

فأوّل الطّريق لكي تصلي إلى هذا: أن تعرفي أسماءه وصفاته وأفعاله سواء من الكون أو من كتاب الله، وانظري فإنّها ستبدأ من القلب ثمّ تنتهي به.

فإذًا ربّنا هو الحقّ؟ وأيّ أحدٍ غير الله؟ فإنّه باطل، لابدّ أن تعيشي على أنّه باطل، لابدّ أن تعرفي بأنّك حين تعلّقت بأنّ

فلان وعلاّن ينجزون لك، ثمّ إنّ ربّنا قد أظهر لك أنّهم لا يستطيعون!

وأحيانا كثيرة نقف عند باب الخلق متأكّدين ومطمئنّين ثمّ يخذلنا الله لكي نعرف الحقيقة!

ولا تنسوا **التّقوى** الآن، فإنّ كلّ اختبار يأتيك فإنّه يزدك معرفة بأنّه الله وليس أحدًا غير الله!

وإنّ الإنسان ينجح بسرعة في الاختبارات لو وحّد الله، يعني: لا يذهب يمنة ولا يسرة!

ألم تعرف بأنّه الله؟ وعرفت بأنّ بيده الملك وهو على كلّ شيء قدير؟ فإذًا الاختبار يطول قليلًا لكي يتنقّى القلب ويتنقّى فما يبقى في القلب إلّا الله بحيث أنّه أوّل فزع يكون لله!

ولذلك فإنّ من أسمائه العظيمة -سبحانه وتعالى-: **"الأوّل والآخر"**، **"الأوّل"** بمعنى: أوّل الفزع وقت الحاجة إلى الله، هذا هو سرّها! فليس عندي إله أحبّه وأعظّمه إلّا الله، وهذه الكلمة لو حقّقها الإنسان في الدّنيا تحقيقًا عظيمًا فإنّه يصير من الـ ٧٠ ألفًا الّذين يدخلون الجنّة بغير حساب، لأنّهم نجحوا في الاختبار تمامًا، ما عندهم إلا الله يفزعون إليه، ويرجونه ويسألونه.

ولذلك فإنّه حين يُبتلى الإنسان ابتلاءات فإنّ أحسن عينًا ترى الابتلاء عينُ من يقول: (ينقّيني الله! بحيث لا أتعلّق بغيره) فيكون العبد وقتها يوم القيامة ممّن نجا ولا يقف عند الحساب.

يعني: البلاء أحسن عين تنظر له تقول: (في قلبي متعلّقات كثيرة جدًّا في هذه الدّنيا، والله -عزّ وجلّ- عاملني بلطفه وأتى بهذا البلاء لكي تنقطّع من قلبي عروق التّعلّق بغيره) بحيث أنّه يأتي يوم القيامة فيكون العبد على منابر من نور، وهذا هو مقصد سورة الحجّ.

ولذلك الله -عزّ وجلّ- في سورة الحجّ يقول: (وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)[10] هي لن تأتي مباشرة وإنّما لابدّ أن يُنظّف القلب من كلّ أحد غير الله بحيث أنّه أوّل ما أقول لك: **"الفرج بيد الله"** مباشرة لا يمين ولا يسار ولا تلتفتي! فقط هو: **"الفرج بيد الله"** هو الأوّل الّذي ليس قبله شيء، هو الآخر الّذي ليس بعده شيء.

إذَا كان هو الأوّل فلا يفزع قلب العبد في لحظة الحاجة أوّلًا إلّا للأوّل، ثمّ إنّ كلّ سبب يأتي من عند الأوّل الّذي ليس قبله شيء، فحتّى الأسباب كثيرًا ما تغرّ النّاس! والقول الصّحيح لو سألنا سؤالًا: هل نسأل الله أوّلًا أم الأسباب؟ أكيد نسأل الله.

---

[10]) الحجّ: ٣٤_٣٥.

فإذًا الصّحيح أنّه وقت حاجتك للسّبب فإنّك تسأل الأوّل الّذي يملك السّبب، والله يقول: (أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤))[11].

وفسّري لنفسك هذا: فالزرع يكون من حبّة وتربة وشمس وهواء وماء.

واسألي حول هذا كلّه: من أين تأتيك الحبّة؟ أصلها من أين؟ من الله! المطر؟ من الله! التّربة؟ من الله! والشّمس؟ من الله! والهواء؟ من الله! فإذًا كلّ عوامل الزّراعة من الله!

بقي أنّك تحرث ولا حول ولا قوة إلّا بالله! جعلت الآن الحبّة في الأرض لو اجتمع أهل الأرض على أن يفلقوها ما استطاعوا! (فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ)[12].

فإذَا خرجت؟! حتّى لو فلقت وخرجت لن يقدر أحد على أن يُخرج الثّمرات! فالله مُخرج الثّمرات!

فإذًا البداية من الله والنّهاية من الله! والعبد اختباره في هذا كلّه أنّه لا يفزع إلّا لله.

وتطول الأيّام حتّى يقوى اختبار **التّقوى**:

- أن تتّقي أن تلجأ لغير الله.

---

[11]() الواقعة: ٦٣_٦٤.
[12]() الأنعام: ٩٥.

- تتّقي أن تنحرف عن سنّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.
- وتتّقي الدّوّامة الّتي يدخلك النّاس فيها! فهذا يدلّك على طريق الفرج! وهذا يدلّك على طريق! وهذا يدلّك على طريق! وكلّ هؤلاء يشتّتونك عن باب الله.

سنرجع مرّة أخرى، طيّب والأسباب؟ اطلبي الأسباب من ربّ الأسباب يأتي بها، فلا تبتدئي بطلب السّبب قبل أن يفزع قلبك للأوّل الّذي ليس قبله شيء وهنا لا يوجد: (ماذا أقول؟ هل هناك دعاء؟) لا يوجد هذا الكلام! وإنّما هناك قلب يطرد غير الله، ويمتلئ بالله، ثمّ بعد ذلك فإنّ الله يأتيه بالأسباب ويُناولها له، وقد يأتي الفرج من باب لا يحتسبه العبد.

وأكيد بأنّنا قد عشنا مواقف صغيرة كانت تقول: (أنا قريب! أنا مجيب!) حتّى أنّ العبد يتمنّى الأمنية في قلبه فتسعى إليه سعيًا! ولكن إذًا كنتم تريدون أن تكون كلّ الحياة هكذا! ما صار الاختبار بالغيب!

لكنّه يأتي موقف، وبعد ألف يوم يأتي موقف ثانٍ، لأنّك على إثر الموقف الّذي قبل ألف يوم كنت تعيش مؤمنًا بكمال الله وجلاله وعظمته، ثم يثبّتك بعد ذلك في المرّة الثّانية، ثم يثبّتك، لكن أنت تعرف بأنّ الاختبار هنا ليس بأن ينكشّف عنك الغيب وكلّما طلبت جاءك! فإذَا كنت كلّما طلبت جاءك! وكلّما سألت جاءك! فأين إذًا الإيمان بالغيب؟

لكنّ الإيمان بالغيب: أنّه يذيقك طعم عظمته وجلاله، ثمّ يُقال لك:

(على هذا عِشْ) ثمّ يزدك كذلك طمأنينة ويعلو (على هذا عِشْ) وكلّما زاد اختبار العبد وامتحانه، وبقيت تَقْوَاهُ بأن يسمع صوت الحقّ، انقطعت العلائق بغير الله، فلقي الله وقد زاد ميزان حسناته فأصبح مثل ثقل جبل أُحُد.

وقد قال النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في وصف أصحابه -رضي الله عنهم-، وانظري ماذا ستفعل معهم زيادة الإيمان؟ وقارني بيننا وبين أصحابه، والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يقارن فيقول: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»[13] يعني: يأتي الصّحابي يغرف غرفة من البُرّ مدّ يده أو نصفها وأنت تُنفق مثل جبل أُحُد ذهبًا فلن تبلغ في الأجر «مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ» ما هو السّبب؟ قوّة الإيمان!

هل هذا الكلام مُتعلّق فقط بالصّحابة؟ لا، وإنّما كلّ من قوي إيمانه، بحيث أنّ قوّة الإيمان تجعل العمل القليل كأنّه جبل أُحُد من الحسنات.

---

[13]) أخرجه مسلم (4737).

فالمقصد: أنّه إذَا وقع العبد في البلاء وطال عليه، فإنّه يُرَادُ قطع غير الله من العلائق، بحيث أنّه يأتي يوم القيامة وصفحة الحسنات قد امتلأت.

نلخّص هذا الكلام في جملة مفيدة:

(اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ) المطلوب منهم أن يتّقوا فماذا يحصل؟ من رأفة الله ورحمته بالخلق يبتليهم، ألم يقترب للنّاس حسابهم؟ وهم في غفلة؟ وهم معرضون؟ ولاهية قلوبهم؟ ولابدّ أنّهم يتّقوا؟ فماذا يحصل؟ يبتليهم ويعينهم ويعلّمهم، ويأتي بهم إلى الحجّ ويقرّبهم منه، وييسّر لهم العبادات، ويجعلهم داعين راجين باكين، ليس هذا فقط من أجل الدّنيا وإنّما حتّى إذَا ما أتي يوم القيامة يكونون قد أصبحوا طاهرين محفوظين من جهنّم، ويمكن أن يصل حالهم أن يصلوا إلى الـ **70** ألف الّذين يدخلون الجنّة بغير حساب.

فالمقصد: أنّ ربّ العالمين رؤوف رحيم، لكنّ المسألة هي: ماذا تفعل مع ربّ العالمين؟

لهذا لا تنسوا أنّ في سورة البقرة لـمّا قرأنا آيات الحجّ ومنّ الله علينا بذكره: (فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ)[14] لم يقل (حسنة) وإنّما فقط (آتِنَا فِي الدُّنْيَا) همّه فقط: (أعطني في الدّنيا! أعطني في الدّنيا!) (وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً

[14]() البقرة: ٢٠٠.

وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)[15] (فرّج همومي واجعل ما أصابني في ميزاني، كفّارة لسيّئاتي وقطعًا لتعلّقاتي) وهي أكبر مصيبة أن يكون البدن مستقبلًا القبلة والقلب مستقبلًا الدّنيا! هذه أكبر مصيبة يعيش فيها الإنسان! **فالتّقوى** ماذا تكون؟ ردّه على باب الله!

والله -عزّ وجلّ- في قبلة المصلّي، يعني: أنت تقف والله أمامك، فإذَا كان الله في قبلة المصلّي فلابدّ أن يكون قلبك عند الله.

فإذًا معنى ذلك: أنّ الإيمان، **التّقوى**، النّجاح، الفلاح من أين يبدأ؟ يبدأ من القلب وينتهي عنده:

- **أوّل الأمر:** -كما اتّفقنا- **اعرف الله واعرف عظمته وجلاله من كتابه ومن الكون الّذي تعيش فيه.**
- **والأمر الثّاني:** -وهذا ضروريّ جدّا- **هو أن تصل إلى رضا الله من خلال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.**

ولا تنسوا مثل الرّاية، فإنّه مثل مهمّ تعلّمناه في الحجّ: الّذي يحمل الرّاية وأنتم ذاهبون إلى أيّ منسك نتّبعه، وإذَا تفلسفنا! معروف الثّمن: فإنّنا نضيع!

---

[15]() البقرة: ٢٠١.

هل رأيتم هذا النّموذج؟ على أعظم في الحياة فإنّ الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- يحمل الرّاية إلى رضا الله والّذي يُخالفه يضيع في الطّرق، ولذلك ورد في الحديث الصّحيح أنّ: مثل النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ومثل النّاس «كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا ، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا ، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ»[16] فالدّار الجنّة، والدّاعي الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- وباني الدّار هو ربّ العالمين، فباني الدّار أرسل رسولًا يقول: (من هنا الدّار) تقوم أنت تتفلسف وتقول: (لا، من هنا الدّار فإذًا سأذهب لها!) لكنّ الدّار هي ما قال الرّسول، فالرّسول صلّى الله عليه وسلّم قال: «فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ» فمن أجل ذلك هذان الشَّرْطَانِ مهمّان.

علينا طوال الوقت أن نفكّر: هل أنا أعرف الله؟ وهل كلّ يوم يزيد عليّ يزيدني معرفة بالله؟ هذا سؤال مهمّ نخرج من الحجّ ونحن مفكّرين، فالحجّ فقط يفتح لك الباب.

وانظري اليوم مثلًا: في الجمرات النّاس يتصدّقون على بعض بالحجارة، والّذي ما معه حجارة يقول: (عندكم حجارة

[16]) أخرجه البخاري (6890).

يا جماعة؟ عندكم حجارة؟) وهي لابدّ أن تتصوّريها فالله الّذي عرفته في الحجّ وعرفت حقيقة الدّنيا الّتي كلّها مثل تلك الحجارة ما لها قيمة ترميها! فالدّنيا كلّها ليس لها قيمة مثل تلك الحجارة!

فلابدّ بأن لا تقضي كلّ أيّامك في الحجارة الّتي ليس لها قيمة! وإنّما تُقضى في السّؤال المهمّ الّذي ستسأله: من ربّك؟ ما دينك؟ من نبيّك؟ فتكون الخطّة كلّ يوم زيادة معرفة الله، وهذا الكتاب العظيم نعمة ربّ العالمين قد أخبرك من الله، وبدون أن ندخل في التّفاصيل اذهبي تعلّمي هنا وهناك..

اعلموا أن البداية من عند الله والنّهاية عند الله، فقط اجمعي قلبك صادقة في الفاتحة وأنت تقولين: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)[17] سيأتيك الطّريق، فقط اجمعي قلبك ولا تحتاجين إلى النّاس.

اسألي الله الصّراط المستقيم سيقرّب لك العلم، ويقرّب لك الفهم، وييسّر لك كلّ شيء، لكن الهداية بيد ربّ العالمين وسؤالها يكون لربّ العالمين.

فإذًا هكذا نكون انتهينا من السّبب الأوّل الّذي هو: معرفة الله.

---

[17]) الفاتحة: ٦.

يأتي السّبب الثّاني المهمّ: وهو اتّباع الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- الّذي سيبعدك -كما اتّفقنا- من أن تبتعدي، أو أن تأتيك الخرافات، أو أن تأتيك البدع، أو أن يأتيك أيّ أخطاء من هذا حيث يمكن للنّاس -بكلّ بساطة- أن يعتبروا الدّين مكانًا للاقتراحات! فيقترحون وتكبر الاقتراحات إلى أن تصير دينًا غير الدّين! وهو الصّحيح أنّ الله حفظ كتابه وسنّة نبيّه.

زيادة الإيمان والخطّة الموفّقة هي أصحّ دليل على قبول الحجّ

ما هي خطّة المجتهد الّذي يريد أن يمشي في الطّريق المستقيم؟

والمجتهد الّذي يريد أن يمشي في الطّريق عليه أن تكون هذه خطّته:

الأمر الأوّل: كلّ يوم زيادة في معرفة الله، وتفكّر في جلاله وجماله وأقداره -سبحانه وتعالى-.

الأمر الثّاني: زيادة معرفة ماذا يجب عليّ أن أفعل في كلّ موقف من سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

وهذا -والله أعلم- أصحّ دليل على قبول الحجّ.

فإنّ أصحّ دليل على قبول الحجّ أن يعود العبد زائدًا في إيمانه، منشرحًا صدره في العلم عن الله، محبًّا لسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم.

ماذا إذا وقعت في الذّنب بعد العودة من الحجّ؟

المشكلة ليست وقوع الذّنب وإنّما المهمّ العودة من الحجّ وبوصلتك يكون اتجاهها أهمّ شيء طلب رضا ربّ العالمين:

فهذه علامة القبول أن ترجع ومعك إيمانًا، وهذا ليس له علاقة بأن تقع في الذّنب!

سنعيد هذا الكلام مرّات ومرّات، فإنّه ليس له علاقة بأن تقع في الذّنب أو لا تقع في الذّنب، وإنّما مشكلتنا الكبيرة أنّك ترجع وبوصلتك اتّجاهها أهمّ شيء طلب رضا الله، أهمّ شيء الله يرضا عنّي.

أهمّ شيء أن تأتي بالتّأليه فتكون كلمة "لا إله إلّا الله" كلمة حقّ وليست كلمة زور:

أهمّ شيء أن أعرف الله أكثر، وأعرف أنا لماذا أعيش؟ وأعرف حين يصيبني مُصاب لمن أفزع؟ وهذا سيوصلنا أنّه حين نقول: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)[18] يعني: أقول لنفسي: (لا تتشتّتي! فقط واحد) (اللَّهُ الصَّمَدُ)[19] يعني: تصمدين إليه أوّل

---

[18]() الإخلاص: 1.

[19]() الإخلاص: ٢.

ما يصيبك الـمُصاب تفزعين إليه قبل أيّ أحد! لا يمرّ في خاطرك أحد وقت المصاب إلّا الله! فهذا كلّه يأتي بالتّأليه، فتكون كلمة "لا إله إلّا الله" كلمة حقّ وليست كلمة زور، وتكون "لا إله إلّا الله" الكلمة المنجية ولا تكون كالّذي (يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ)[20] إنّما تكون من (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)[21] ولذلك في سورة الحجّ الآية (٣١)قال تعالى: (حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ).

نعوذ بالله من الخذلان ونسأله الثّبات على الطّريق (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ)[22] ليوم لا ريب فيه، نجّنا في ذلك اليوم، واجعلنا ممّن انتفع بحجّه فزاد إيمانه وابيضّت صحائفه، وارتفعت منزلته في جنّات النّعيم، اللّهمّ آمين. سبحانك اللّهمّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

[20]() الحج: ١١.
[21]() الحج: ٢٣.
[22]() آل عمران: ٨_٩.